مباحث علمية

عقلية الطفل

سلسلة مقالات عن عقل الطفل وحياته

٣

الخوف

الخوف هو انفعال نفسى طبعي فى الطفل يصحب غريزة الهرب من الخطر — وهى أحدى الغرائز القوية فى الاطفال التى تعمل للمحافظة على بقاء النوع بأن تهيج الجهاز الحركى فى الانسان عند وجود الخطر وتدفعه الى الفرار بالجرى والصراخ أو بالاختفاء والسكون .

وأقوى ما يكون الخوف فى الانسان هو عادة فى السنة الثالثة والرابعة والخامسة وهو السن الذى يقوى فيه الخيال — ويتقارن الخوف والخيال قوة وضعفا .

والخوف كباقى الانفعالات النفسية الغريزية يأخذ فى الضعف شيئاً فشيئاً بنمو الطفل ولكنه لاينقرض بالمرة بل يبقى منه شيء عند الانسان طول حياته — فاذا ما كبر الطفل وقوي على العناية بنفسه وصار له دراية بما هية ما يحيط به من الأشياء قل خوفه من كل ما هو فجائى أو جديد وازداد خوفه الذى من قبيل الحذر والتبصر .

أسباب الخوف

أن الأطفال الصغار يبدون أعراض الخوف قبل أن يدركوا أو

يختبروا خطر الاشياء التي تثير خوفهم . فصوت فجائى مثلا يجعل الطفل يضطرب ويرتعش ويصرخ — ذلك دون أن يدرك ماهية الصوت أو ما ينذر به من خطر .

والذي يثير الخوف هو كل ما كان مجهولا أو فجائيا أو حديثا فالطفل لايخاف من الأصوات على العموم بل من تلك الأصوات الفجائية التى لا يعرف مصدرها فهو مثلا يميل الى الصوت الذي تحدثه « الشخشيخة » ولكنه يخاف من الرعد لان مصدره خفى عليه — فيخيل للطفل عند سماعه أن هناك قتالا فى العلى أو أن القمر ينفجر أو السماء تتهشم

ويرجع خوف الطفل من الظلام الى خوفه من كل مجهول — فجميع الاطفال تخاف من الظلمة خوفا شديداً ويتصورون فى الامكنة المظلمة أجساما حية سوداء مجعدة الشعر ذات عيون براقة وأسنان بيضاء حادة .

كذلك يخاف الطفل عند أول رؤيته لكلب أو قط أو شخص غريب لانها مناظر جديدة ليس له عهد بها من قبل

وقد وصل علماء النفس بالبحث فيما يثير الخوف الى نتيجة واحدة وهى أن الطفل يرث خوفه عن الأجيال الاولى للانسان فنرى فى مخاوفه آثار الاشياء التى كانت تخيف الانسان فى حياته الهمجية قبل التمدن لما كان معرضا للوحوش الضارية وللقوى الطبيعية ، فالطفل كأجداده يخاف من الحيوانات والغرباء والعيون الكبيرة والاسنان الحادة ومن الماء والهواء والرعد والظلام والنار — فهذه مخاوف قد تناقلت من جيل الى جيل بالوراثة

وكثيرا مايبقى أثرها عند الكبار فلا يتغلبون طول حياتهم على خوفهم من البحر أو الرعد أو الريح الشديد أو مطاردة الكلاب

الخوف والتربية

الخوف من الانفعالات النفسية التى يجب أن نضعفها فى الطفل لما لها من التأثير السيء فى الجسم والعقل والخلق فهو يؤثر على فعل القلب والاوعيه الدموية والاعصاب والتنفس ، فعند ثورته يخفق القلب وترتعد الفرائص وتتصلب العضلات ويختل التنفس ، كما انه يشل عمل الفكر والارادة ولا يبعث على عمل :

ونشاهد فى التاريخ أن كل تقدم فى الامم كان على أيدى أفراد لا يعرفون خوف وأي ام لا تتمنى أن يعمل طفلها يوماً ما لتقدم بلاده وارفع الانسانية فتربيه شجاعا غير خواف !

وأشد الاطفال خوفا هم ذوو الجسم الضعيف والمزاج العصبي والخيال القوى . فخوف هؤلاء يكون عظيما وليس من العدل أن يستهان به أو يغصب الطفل على التغلب عليه لانه قد يؤدى الى الهلع ويصير قوة عنيفة يرزح تحتها . اما معاملة هؤلاء الاطفال فتكون بشرح ماهية مصدر كلما يثير خوفهم فاذا ماصار المجهول والغريب معلوما عند الطفل فانه لا يخاف منه

أما اطفال الصغار العاجزون عن الادراك والتعليل فاننا نضعف الخوف فيهم بابعادهم عن كل مخيف وبتعويدهم تدريجيا على الظلام وابعاد فكرهم عن الافكار المخيفة . فالام التى تحفظ مقدارا من الحلوى (شكولاته مثلا) فى حجرة مظلمة وترسل الطفل لاحضارها عندما يطلبها تجعله يندفع الى الحجرة وفكره محصور فى الحصول على (الشكولاته) ولا يفكر فى مخاوف الظلمة وهكذا يتعود على أن لا يبالى بالظلام

أن أبطال التاريخ وأبطال القصص والحكايات الذين نعجب بهم ونضعهم أمام الاطفال لنتخذهم مثلا عليا لايعرفون الخوف بالمرة ومع ذلك فاغلب الامهات تناقض نفسها وتتخذ الخوف وسيلة لتربية طفلها وارغامه على تنفيذ ارادتها فهي تخوفه بالبعبع ، وتهدده بالعقاب اذا أتى بعمل غير مناسب غير عالمة مالذلك من التأثير السيء — فالتعود المؤسس على الخوف متزعزعا يزول اذا ما كبر الطفل وقوى أدراكه وضعف خوفه الغريزي — وقد يؤدي الخوف من العقاب الى الكذب والخداع والتظاهر ولذا نجد أن طرق التربية الحديثة، تحرم استعمال التخويف فالام التي تعامل طفلها بالمحبة والتشجيع تصادف نجاحا أعظم من تلك التي تستعمل التخويف كما أنها تكتسب ثقته ومحبته لان الخوف والبغض كثيرا مايكونان متقارنين :

فالاشياء التي يسمح أن تخوف الطفل بها هي تلك الاشياء التي تريد أن تكرهه فيها مثل أعمال الشر وحب الذات والاستبداد والظلم. وما عدا ذلك لايجب أن يهاب الطفل شيئا آخر في الحياة

امين عبد المسيح